" بسم الله الرحمن الرحيم "

مقدمة البحث : وشكلته وأهميته :

يمثل المنهج ، الذى يستخدمه العالم أو المفكر أو الفيلسوف ، ركنا أساسيا من أركان المعرفة الفلسفية ، وجزءا لايتجزأ منها . ذلك لأن مايتوصل اليه الفيلسوف من قوانين أو قواعد أو نظريات ، انما يتوقف على صحة المنهج الذى يستخدمه ، وعلى سلامته ومقدار اتساقه وانسجامه وخلوه من التناقض والقصور ومن شوائب الخرافة والسحر والدجل او الشعوذة أو المغالطة .

ولذلك تقاس الحقائق الفلسفية والعلمية بمقياس منهجها ، ومن هنا لاتنفصل النظرية العلمية او التصور الفلسفى عن المنهج الذى استخدم فى بنائه ، وعلى مدى خلوص القفز فى الاستنتاج والاسراف فى التعميم أو الخطأ فى الاستدلال وتقرير نتائج لاتنتج بالضرورة عن مقدماتها .

والمنهج أداة من ادوات العلم والفلسفة ، ولذلك لم يكن غريبا ان يفرض له مبحث من المباحث الكبرى فى الفكر الفلسفى . وأن ترتبط فلسفات العلوم بمناهجها .

فقضية المنهجية من القضايا الكبرى التى تهتم بها الفلسفة ، حين تصدر احكاما تقويمية لنتاج الفكر الانسانى ، او حين تضع القواعد المثلى للتفكير الفلسفى أو العلمى .

ومن هنا برزت فكرة هذا البحث لاستقصاء المناهج او الطرق او الاساليب التى استخدمها الشيخ الرئيس ابن سينا فى مجال الطب النفسى الذى مارسه ، وكتب وألف فيه ، وترك فيه تراثا خالدا يحتاج الى يد الباحث العربى لاماطة اللثام عنه ، والكشف عن طبيعة هذه المناهج ، وتلك الطرق فى ثنايا ماتركه لنا من تراث فى الطب عامة والطب النفسى بصورة خاصة ، وأسلوبه أو منهجه فى التعرف على ماكان يعانى منه مرضاه وتشخيص عللهم ووصف اساليب علاجها .

وسوف يتصدى هذا البحث لمحاولة الاجابة على عدد من التساؤلات والرد على عدد من الافتراءات التى يشنها أعداء الاسلام والعروبة ضد علمائها ، فينكرون

عليهم انتهاج المنهج العلمى ، ويصفونهم بالسحر والشعوذة والخرافة ، ويدعون انهم كانوا مجرد نقلة ومترجمين للتراث الاغريقى ليس الا .. وان العقلية العربية انهى الا عقلية تحليلية تحلل الوقائع دون القدرة على الابداع والابتكار .

ولذلك يطرح الباحث من خلال هذا البحث التساؤلات الاتية :-

١ - ماهى طبيعة المناهج والاساليب التى استخدمها الرئيس ابن سينا فى مبحث النفس ؟

٢ - ماهى الوسائل والمناهج والاساليب التى استخدمها فى الكشف عن الامراض والعلل ؟

٣ - هل سبق الفكر السينوى الفكر الغربى فى استخدام الملاحظة او المشاهدة أو المعاينة ، وهل أدرك هذا الفكر مايمكن ان نسميه اليوم بالمنهج العلمى ؟

٤ - والى أى مدى نجح فى ادراك ، وفى التعرف على العلل النفسية والعقلية والبدنية .. وماهى الادلة على فضله فى السبق على علماء الغرب ؟

٥ - كيف تأثر بمن سبقوه وكيف أثر فيمن لحقوه من رجال الفكر الفلسفى والطبى ؟

ومن اهداف هذه الدراسة استخلاص التصورات المتعلقة بالمنهج الذى استخدمه ابن سينا فى دراسته للنفس فى اعماله الطبية ، ذلك لأن تاريخ الطب العربى ، بصورة عامة ، والطب عند ابن سينا ، بصورة خاصة ، قد تصدى له كثير من الدارسين والمؤرخين . ولكن ظلت هناك حاجة الى ابراز معالم المنهجية فى الطب النفسى والعقلى عنده ، واستخلاصها من ثنايا ماتركه لنا من تراث حافل فى كل المجالات ، ولا سيما فى المجال الطبى .

لذلك برزت اهمية هذه الدراسة الحالية لالقاء الضوء على منهج الطب النفسى وبيان الصلة بين النفس والبدن . مع عدم الخوض فى خصوصيات المجال الطبى بقدر ماهو تركيز على منهج الطب النفسى وتاريخه وفكر ابن سينا فيه .

ومن ثنايا هذا البحث سوف يتضح فضل السبق فى اكتشاف كثير من المفاهيم والتصورات المتصلة بمنهج البحث فى الصحة النفسية والعقلية التى يدعى علماء الغرب ابتكارها .

ولا شك ان هناك حاجة للتعرف على ما توصل اليه الرئيس ابن سينا من أسس منهجية وقواعد بحثية فى الامراض العقلية والنفسية ، والاسلوب الذى استخدمه فى تشخيصها ، اى فى معرفة كم وكيف المرض ، وتحديد الاعراض التى يعانى منها مرضاه ، وكذلك معرفة مناهجه فى العلاج .

ويستهدف هذا البحث ، من بين ما يستهدف ، التعرف على المؤثرات التى أثرت فى منهج ابن سينا فى الفكر الطبى النفسى وأسسه الفلسفية والعلمية والقياسية والاستدلالية اى المنطقية .

وسيتطلب ذلك الالمام بالتراث السابق عليه ، ثم لابد من ابراز الاضافات التى أضافها ابن سينا عن النفس وأمراضها .. ذلك لانه من المقطوع به ان علماء العرب لم يكونوا مجرد نقلة للتراث الاغريقى ، وانما هم نقلوه حقيقة ثم شرحوه وفسروه ، وأضافوا اليه الكثير من عندهم ، ومن علوم القرآن الكريم وغيره من المصادر العربية . كما أجروا العديد من التجارب ، ولهم العديد من الاكتشافات التى تنسب اليهم دون غيرهم .. فضلا عن امتلاكهم لناصية المنهجية العلمية ودعائمها فى التجربة والملاحظة وفرض الفروض وما الى ذلك .

لقد ترك لنا الشيخ الرئيس سفرا عظيما فى علوم الطب والتشريح ووظائف الاعضاء والصيدلة ، هو كتاب القانون فى الطب ، وهو من الآثار الانسانية الخالدة ، اذ المعروف ان كتاب " القانون فى الطب " ظل يدرس فى الجامعات الاوروبية حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادى ، وقد ترجم الى عدة لغات فى الوقت الذى كانت فيه اوروبا تغط فى سبات عميق من الجهل والخرافة فى عصر ظلامها الحضارى الحالك ، حيث كانت تسود الخرافة والشعوذة والدجل ، والايمان بتلبس الجن والشياطين لجسد الانسان ، وانها كانت تذهب بعقله ، وتضيع عليه رشده ،

فى الوقت الذى كانت فيه اوربا تعامل مرضى العقول معاملة الحيوانات ، عامة ملوءها القسوة والعنف ، كان فكر الرئيس ابن سينا نقيا خالصا من الشعوذة والخرافة متسما بالموضوعية والدقة اللتين يتسم بهما العلم الحديث ، ومستخدما اسس القياس والاستدلال فى الوصف والتصنيف وتقسيم الامراض والادوية . كما كان يرجع الامراض النفسية والعقلية الى اسباب طبيعية لا خرافية . وكان يعامل مرضاه معاملة انسانية راقية .... بل يروى عنه انه كان يعالج مرضاه بالحسنى .... وهذه حقيقة لا ينكرها الا جاحد . ولكن المنصفين من فلاسفة الغرب ومؤرخيه يعترفون بفضل الحضارة العربية .

ونحن لكى نحكم فهم الحاضر لابد وان نعود الى الماضى ، ماضى الفكر المنهجى وتاريخه وتطوره عبر عصور الفكر المنهجى .

لقد ترك لنا الشيخ الرئيس ابن سينا تراثا خالدا فى شتى مناحى المعرفة واكثرها خلودا وبقاء ، كتابه القانون فى الطب ، وجاء متضمنا لفكره العلمى والمنهجى والمهنى فى مجالات الطب المختلفة ... ولذلك انفرد الفصل الاول من هذا العمل المتواضع بوصف كتاب القانون فى الطب : مادة ومنهجا واسلوبا موضحا منهجه فى التأليف ودوره كاستاذ فى عالم الطب يخاطب تلاميذه ومرضاه معا والباحثين ايضا .

ولقد اختص الفصل الثانى بشرح الامراض العقلية من حيث اسبابها واعراضها واساليب تشخيصها وطرق علاجها وكيفية الوقاية من الاصابة بها .

ومن خلال الفصل الثالث عقد الباحث مقارنات دقيقة بين الفكر السيكولوجى الحديث والفكر السينوى فى مجال الامراض النفسية والعقلية توضيحا للمفاهيم التى توصلت اليها عبقرية شيخنا الرئيس ابن سينا ، وربطا بين الحاضر والماضى وتلك من سمات العلم الذى هو وحده متصله الحلقات يؤدى الماضى فيها الى الحاضر ويقود الحاضر الى المستقبل .. ولذلك قيل فى وصف العلم انه تام ومتطور دائما .

وينفرد الفصل الرابع والاخير من هذا العمل المتواضع باستعراض اهم نتائج البحث وما كشفت عنه المقارنات والشروح السابقه لمحتوى ومضمون الفكر السينوى العظيم فى مجال الطب النفسى ومناهج البحث فيه . واحتوى الفصل الخامس اهم المصطلحات الفنية التى استخدمها ابن سينا فى مبحث الطب النفسى .